المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إن المتأمل في أحوال المسلمين يجد أغلبهم يتهم بعضهم بعضًا إما بالشدة أو التقصير فالمتساهل يتهم غيره بالشدة حتى ولو كان الغير على الحق وعلى الوسطية.

والمتشدد يتهم غيره بالتساهل والتقصير حتى ولو كان هذا الغير على الطريق المستقيم.

obeikandl.com

وسبيل أهل السنة «أهل الحق»، بينهما لا تشدد ولا تقصير بمعنى أنه: «يسر الإسلام بين الشدة والتقصير».

وبهذا تكون الوسطية التي أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بها الناس وكانت من أهم سمات هذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

وإني لأعلم أن هذا الكلام لا يرضي كل الطوائف ولكن حسبي أني معتقد أن هذا هو الطريق الأقوم وإني لأعلم أن رضى الناس غاية لا تدرك.

ولست بناج من مقالة طاعن ... ولو كنت في غار على جبل وعر
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالمًا ... ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر

لذا سوف نذكر أولاً الآثار التي تدل على أن الحجة في الآثار وأن الحجة في الكتاب والسنة.

١ ـ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن أترك شيئًا من أمره أن أزيغ».

٢ ـ روى ابن عبد البر أن عمر قال: «السنة: ما سنه الله ورسوله، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة».

٣ ـ وقال ابن مسعود: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة».

٤ ـ وقال ابن عباس: «أما تخافون أن تعذبوا ويخسف بكم أن تقولوا: قال رسول الله ﷺ وقال فلان».

٥ ـ وقال ابن عمر: «لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الأثر».

وروى البخاري عن جابر بن زيد أنه قال: لقيني ابن عمر في الطواف فقال: «يا أبا الشعثاء، إنك من فقهاء البصرة وتستفتى فلا تفتين إلا بكتاب ناطق أو سنة ماضية»، زاد الدارمي: «فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت».

٦ ـ وقال أبو الدرداء: «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في خلاف سنة».

obeikandl.com

٧ ـ وقال عمر بن عبد العزيز: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننًا الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكثار لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغيرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين والله تعالى يقول: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)».

٨ ـ وقال الأوزاعي: «ندور مع السنة حيث دارت».

٩ ـ وقال أبو حنيفة: «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

وقال: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه».

وقال: «إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول لله فاتركوا قولي».

١٠ ـ قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «إنما أنا بشر أخطأ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما يوافق

الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه».

ـ وقال: «ليس أحد بعد النبي ﷺ يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ».

ـ وقال: «لا تعارضوا السنة وسلموا لها».

١١ ـ قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قولٍ أو أصلت من أصلٍ فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي».

ـ وقال: «أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد».

١٢ ـ وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا».

obeikandi.com

ـ وقال: «رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار».

ـ وقال: «من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة».

وروى ابن عبد البر أن أحمد قال:

دين النبي محمد أخبار ■■■ نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وآله ■■■ فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى ■■■ والشمس بازغة لها أنوار

١٣ ـ وقال ابن خزيمة: «ليس لأحد قول مع رسول الله ﷺ إذا صح الخبر عنه».

١٤ ـ ويقول إبراهيم التيمي: «اللهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من الاختلاف بالحق، ومن اتباع الهوى، ومن سبيل الضلالة، ومن مشتبهات الأمور، ومن الزيغ والخصومات».

obeikandl.com

١٥ ـ وقال بشر بن السري السقطي: «نظرت في العلم فإذا هو الحديث والرأي، فوجدت في الحديث ذكر النبيين والمرسلين وذكر الموت وذكر ربوبية الرب وجلاله وعظمته وذكر الجنة والنار وذكر الحلال والحرام والحث على صلة الأرحام وجماع الخير ونظرت في الرأي فإذا فيه المكر والخديعة والتشاح واستقصاء الحق والمماكسة في الدين واستعمال الحيل والبعث على قطع الأرحام والتجري على الحرام».

■ يقول العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر أقوال الأئمة الأربعة: «تلك هي أقوال الأئمة رضي الله تعالى عنهم في الأمر بالتمسك بالحديث والنهي عن تقليدهم دون بصيرة، وهي من الوضوح والبيان بحيث لا تقبل جدلاً ولا تأويلاً وعليه فإن من تمسك بكل ما ثبت من السنة ولو خالف بعض أقوال الأئمة لا يكون مباينًا لمذهبهم ولا خارجًا عن طريقتهم بل هو متبع لهم جميعًا ومتمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها».

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ: «فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه أن يبينه للأمة وينصح لهم.. ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة، فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأى أي معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ.. إلخ».

يقول الألباني ـ رحمه الله ـ: «ولذلك كله كان اتباع الأئمة ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ١٣-١٤)، لا يأخذون بأقوال أئمتهم كلها بل قد تركوا كثيرًا منها لمَّا ظهر لهم مخالفتها للسنة حتى إن الإمامين: محمد بن الحسن وأبا يوسف ـ رحمهما الله ـ قد خالفا شيخهما أبا حنيفة في نحو ثلث المذهب وكتب الفروع كفيلة ببيان ذلك، ونحو هذا يقال في إمام الإسلام المزني وغيره من أتباع الشافعي وغيره.

وإنما استطردت في هذه المقدمة لأن الموضوع يحتاج مني أن يكون وسطًا بين الشدة والتساهل، والوسطية إنما في

الإسلام أي في الكتاب والسنة وبهذه الكلمات نغلق الباب غلقًا محكمًا على من يقلدون شيوخهم تقليدًا أعمى حتى ولو خالفت كلماتهم الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ (الأعلى: ٨)، قال ابن كثير - رحمه الله -: أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعًا سهلاً سمحًا مستقيمًا عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر. نعم ديننا دين يسر لا تشدد فيه ولا تنطع فيه كذلك لا تساهل فيه بحيث لا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، ولهذا المعنى (يسر الإسلام بين التشديد والتساهل)، جاءت نصوص الشرع الحنيف:

قال تعالى: ﴿ طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (طه: ١-٢).

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥).

قال القرطبي في التفسير: قال مجاهد والضحاك: اليسر الفطر في السفر، والعسر الصوم فيه، والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨)، وقد رُوي عنه ﷺ: «دين الله يسر»، وقال: «يسروا ولا تعسروا».

واليسر من السهولة ومن اليسار للغني، وسميت اليسرى تفاؤلاً أو لأنه يسهل له الأمر بمعاونتها لليمنى.

وقد جاءت أحاديث كثيرة توضح أن دين الله يسر لا عسر ولا تشدد فيه منها:

١ ـ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: «من هذه؟»، قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: «مه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يملُّ الله حتى تملُّوا»، وكان أحب الدين إليه ما دوام صاحبه عليه. (رواه البخاري ومسلم).

قوله ﷺ: «مه»، هي كلمة زجر.

وكـأنَّ النبي ﷺ أراد أن يوضح للأمة أن دين الله يسـر فلا يكثر الإنسان من الصـلاة حتى يصل به الأمر إلى الملل بل عليه بالقليل الذي يستطيع أن يواظب عليه.

٢ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: جـاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عـبادة النبي ﷺ فلما أخبـروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصـوم الدهر أبدًا ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النسـاء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فـقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»** (رواه البخاري ومسلم).

مـا هذا التشـدد؟ صلاة ولا نوم! صـيام الدهر! عـزلة وعزوبة ولا زواج!

إنه لتنطع جاء الإسلام بالنهي عنه، جاء الإسلام ووضح أنه دين يسر لـذا قال النبي ﷺ: «**أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء**».

هذا هو دين الله غاية اليسر هذا هو الإسلام ولذا قال: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

٣ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثًا (رواه مسلم).

قال النووي ـ رحمه الله ـ المتنطعون: المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد.

وقيل: المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً.

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**» (رواه البخاري).

وفي رواية: «القصد القصد تبلغوا».

قوله: «إن الدين يسر»: قال الكرماني: معناه ذو يسر أو أنه يسر على سبيل المبالغة نحو زيد عدل: أي لشدة اليسر وكثرته فيه كأنه نفسه.

قوله: «القصد القصد تبلغوا»: أي الزموا التوسط في الأمر من غير إفراط ولا تفريط وإن تفعلوا ذلك على وجه القصد والمقاربة تبلغوا القصد من مرضاة ربكم ودوام القيام بعبوديته وإن تعاطيتم المشاق ربما مللتم فانقطعتم.

٥ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين السارتين فقال: «ما هذا الحبل؟»، قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد» (متفق عليه).

فانظر كيف أمر النبي ﷺ أن يحل الحبل وكيف أمر بالنوم وترك الصلاة عند الفتور، وأمر بالصلاة عند النشاط وما ذلك إلا من يسر الإسلام.

٦ ـ عن أبي عبد الله جابر بن سمرة السوائي رضي الله عنه قال: «كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً» (رواه مسلم).

قوله: «قصداً»: أي بين الطول والقصر.

ما هذا التشدد الذي نراه من بعض الأئمة والخطباء من إطالة للصلاة والخطبة حتى لنرى بعض الناس ينفر منهم بسبب هذه الإطالة!

أما علموا أن دين الله يسر؟ أما سمعوا حديث النبي: «وإن منكم لمنفرين»؟!

أما لهم في رسول الله أسوة حسنة؟! أما علموا أن ورائهم الضعيف والمريض والكبير وذا الحاجة؟!

فعلينا أن أن نقتدي برسول الله ﷺ وأن نتمسك بسنته.

وإلى أولئك المتساهلين بحجة التيسير على الناس حتى لنراهم لا يقيمون فرائض الصلاة وينقرونها نقراً ويصلون

بسرعة البرق حتى إنك لا تكاد تقرأ الفاتحة وراءهم ولا تكاد تطمئن في الركوع والسجود.

نقول لهؤلاء: صلوا كما صلى النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً لا إطالة ولا تقصير.

هذا هو يسر الإسلام بين التشديد والتساهل. لا تشديد لا تنطع ولا تساهل حتى نضيع الأركان والفرائض.

٧ ـ عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال آخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كل فإني صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له نِم فنام، ثم ذهب يقوم فقال له نِم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعًا فقال له سليمان: إن لربك عليك حقًا وإن لنفسك عليك

حقًا ولأهلك عليك حقًا فأعطِ كل ذي حق حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان» (رواه البخاري).

قال الحافظ ابن حجر ما ملخصه: «في الحديث جواز النهي عن المستحبات إذا خشى أن ذلك يفضي إلى السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور، وفيه كراهية الحمل على النفس في العبادة».

فانظر إلى يسر الإسلام وكيف نهى سلمان أبا الدرداء ووضَّح له إن لنفسك عليك حقًا ولربك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا فأعط كل ذي حق حقه ويسر على نفسك.

٨ ـ عن أبي ربعي حنظة بن الربيع الأميدي الكاتب أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما

تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك»؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنًا رأي العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»** ثلاث مرات (رواه مسلم).

قوله «ساعة وساعة»: أي ساعة للعبودية وساعة لما يحتاجه الإنسان وساعة للعب واللهو المباح.

وهذا الحديث أيضًا يوضح لنا يسر الإسلام وأنه لا تشدد فيه ولا غلو ولا تنطع.

٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ: **«مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه»** (رواه البخاري).

ما هذا التشدد والتشديد على النفس؟ لماذا تعذب نفسك أيها الرجل بالقيام والجلوس في الشمس؟! أما تعلم أن دين الله يسر؟ أما تقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)؟

ولهذا وضح نبي الإسلام صاحب الرحمة بأمره للرجل بالجلوس والاستظلال بأن الإسلام دين يسر ولهذا رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن خير دينكم أيسره! إن خير دينكم أيسره»**.

١٠ ـ عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا»** (أخرجه الإمام مالك، ورواه البخاري ومسلم).

وهذا أمر من النبي ﷺ بالتيسير على الناس كما جاء عنه أنه بعث معاذًا وأبا موسى إلى اليمن فقال لهما: «**بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا**» (رواه البخاري ومسلم).

وقال ﷺ: «**بعثت بالحنيفة السمحة**»، وجاء عنه أنه قال: «**إن الله أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بهم العسر**»، فهذا هو يسر الإسلام.

يحثنا النبي ﷺ بالتيسير على الناس فيقول: «**يسرا ولا تعسرا**».

ويقول ويعلن هذا المعنى بكل وضوح كما تقدم فيقول: «**إن الدين يسر**».

والأحاديث كثيرة جدًا في هذا المعنى وإنما اقتصرت على ما سبق حتى لا نطيل وأظن أن هذا المعنى أصبح واضحًا وضوح الشمس وسوف يأتي في الأبواب القادمة أحاديث ومعاني أخرى تزيد الأمر وضوحًا.